محاضرات مقياس الاستشراق

الأستاذة نعيمة رحماني

السنة 2 انثروبولوجيا

المحاضرة09

المنهج الاستشراقي – بعض النماذج–

(منهج الأثر والتأثّر)

لم تنحصر مسألة أصل الدّين الإسلاميّ في المنهج التّاريخي فقط، بل عولجت بمناهج كثيرة أخرى طبّقت الأسلوب نفسه؛ ومثال ذلك **منهج الأثّر والتأثّر** الّذي يقصد به تجزئة كلّ عناصر الدّين الإسلاميّ وردّها إلى اليهوديّة أو المسيحيّة أو إليهما معا، أو إلى غيرهما من الحضارات والأديان.[1]

وهي الفكرة نفسها الّتي طُبّقت من خلال المنهج التّاريخي السّابق الذّكر، ولكن في هذه الحالة بالجزئيّات وليس بالعموميّات؛ حيث عمد المستشرقون إلى إثبات أنّ الوحي والسنّة النبويّة والفلسفة الإسلاميّة كلّها مستمدّة من عوامل خارجيّة مارست عليها الأثّر والتأثّر، وبالتّالي تمّ نفي أيّ أصالة للدّين الإسلاميّ.

نحن لا ننكر وجود تفاعل بين العناصر الثقافيّة لمختلف الحضارات عند التقائها ببعضها البعض، ويكون ذلك على شكلّ احتكاك أو تثاقف حضاري تتغيّر على أثّره الأنماط الثقافيّة الأصلية لتلك المجتمعات في عمليّة تبادليّة وتوفيقيّة لتلك العناصر، وقد يتمّ قبولها أو رفضها إن لم تتوافق مع المنظومة الفكريّة لتلك المجتمعات، وفي حالة فرضها فلا يعتبر هذا الأمر تثاقفا بل سيطرة استعماريّة تفرض ثقافتها غصبا. وبالعودة إلى منهج الأثّر والتأثّر نجد أنّه لا

---

[1] خالد القاسم، مناهج المستشرقين في دراسة الاسلام، 2014/12/18، مقال استخرج من الرّابط http://estshrac.blogspot.com بتاريخ 2018/06/18 على 18سا و06د.

يتحدّث عن التوفيقيّة ولا يقتنع بالتّفاعل الحضاري مع احتفاظ كلّ حضارة بخصوصيّتها، بل بالعكس ينسب كلّ الخصائص إلى الحضارة الأصل، وفي هذا الصّدد ذكر المستشرق اليهوديّ **إجناس جولد تسيهر Ignaz Goldziher** (1850م-1921م) أنّ المستشرق الألماني **أبراهام غاير Abraham Gayer** (1810م-1874م) قد كتب مؤلَّفا عام 1833م بعنوان "ماذا أخذ القرآن عن اليهوديّة"، وراحت الأبحاث بعده تفكّك عناصر القرآن لتردّها إلى مصادر أخرى؛ وتقف عند كلّ تشابه في بعض الجزئيّات بين ما ورد في القرآن الكريم وما وجد في الإنجيل والتّوراة. وقد استرسل المستشرق اليهودي إجناس جولد تسيهر في مسألة التّأثيرات الخارجيّة ذاكرا أنّ رسالة النّبي العربيّ ليست "إلاّ مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينيّة عرفها واستقاها بسبب اتّصاله بالعناصر اليهوديّة والمسيحيّة وغيرها، الّتي تَأثّر بها تأثيرا عميقا، والّتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينيّة صادقة، وهذه التّعاليم الّتي أخذها عن تلك العناصر الأجنبيّة كانت ضرورية لإقرار لون من الحياة في اتجاه يريده الله...

لقد تأثّر بهذه الأفكار تأثّرا وصل إلى أعماق نفسه، وأدرك بإيحاء قوة التّأثيرات الخارجيّة فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يَعتبر هذه التّعاليم وحيا إلاهيّا."[2]

وقد علّق الإمام محمد الغزالي على كتاب جولد تسيهر حول العقيدة والشريعة قائلا: "منذ شرع يخط السطور الأولى في كتابه، لم يكن يملك ذرّة من روح العالم المنصف.

كان يخطئ في النّقل والفهم والحكم...لا شكّ أنّه قرأ كثيرا من الأصول والمصنّفات الإسلاميّة، ولكنّه منذ قرأ وكتب، لم يحمل بين جنبيه إلاّ فؤادا مترعا بتكذيب الإسلام، فهو يدسّ أصبعه في كلّ شيء ليتّخذ من أيّ شيء دليلا على أنّ محمّدا كاذب، وقرآنه مفتعل وسنّته مختلفة، والإسلام كلّه منذ جاء إلى أن بلغنا مجرّد مفتريات.""[3]

---

[2] إجناس جولد تسيهر، العقيدة والشّريعة، ط01، ترجمة يوسف مرسي وزميله، مصر، 1948م، ص12.

[3] محمّد الغزالي، دفاع العقيدة والشّريعة ضدّ مطاعن المستشرقين، ط07، نهضة مصر للطّباعة والنّشر، 2005م، ص ص03-05

وفي السّياق نفسه ذهب **ثيودور نولدكه** **Theodore Noldeke** (1836م-1930م) إلى أنّ الرّسول ﷺ قد تأثّر بأفكار ورقة بن نوفل، وبعد الهجرة أخذ ينقل عن اليهوديّة والنصّرانيّة لصياغة ديانة الإسلام الجديدة؛[4] حيث أخذ التصوّر الإسلاميّ للملائكة عن اليهوديّة،[5]واستقى فكرة الجنّة من معلّمين مجهولين تأثّروا ببعض الرّسومات والفسيفساء المسيحيّة الّتي تصوّر حدائق الفردوس.[6]

وأضاف المستشرق اليهوديّ إجناس جولد تسيهر قائلا: "صار الرّهبان المسيحيّين وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه، وقد كانوا في الواقع أساتذة له."[7]

لقد توصّل إذا جلّ المستشرقين إلى نتيجة مفادها أنّ الدّين الإسلاميّ دين جديد يجمع بين اليهوديّة والمسيحيّة وأديان وضعيّة أخرى كالبوذيّة وغيرها؛ وما هي سوى محصّلة تطبيق منهج الأثّر والتأثّر؛ ذلك المنهج الّذي طُبّق في البيئة الغربيّة بشكلّ كبير، وتناسب مع حضارتهم الّتي بنيت على تراث الفكر اليوناني القديم، وما تطبيقه على الدّين الإسلاميّ إلا تَعدّ عليه لأنّ هذا الأخير ذو أصول وأسس دينيّة مستمدّة مباشرة من القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشّريفة.[8] وكان من المفروض عند دراسة أصل الأديان غير الوضعيّة الوصول إلى محصّلة موحّدة مفادها أنّ أصل الدّيانات السّماويّة واحد. لكنّ المنهجيّة الغربيّة الّتي تعاطت مع الدّين الاسلاميّ توصّلت إلى نتائج تخدم إيديولوجية مرتبطة بالأنساق الدينيّة والسياسيّة الغربيّة؛ لذا كان من الأجلّ دراسة التّأثير والتأثّر بين التّراث الإسلاميّ والتّراث الغربيّ وتبيان مدى إسهام الأوّل في ازدهار الثّاني وتطوره.

---

[4] ثيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر، بيروت، 2004، ص03.

[5] هنري ماسيه، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، عويدات، بيروت، 1960م، ص141.

[6] موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، ط01، ج 12، مركز الشّارقة للإبداع الفكريّ، 1998م، ص2016.

[7] إجناس جولد تسيهر، مرجع سابق، ص20.

[8] جميلة الشّمري، المستشرقون ومناهجهم في دراسة علوم القرآن الكريم، 2013/06/02، مقال استخرج من الرّابط https://vb.tafsir.net/tafsir36527 بتاريخ 2018/06/18 على 21سا و39د.